العرب
الثلاثاء 2020/11/10
السنة 43 العدد 11877

«في بلاد العم سالم» فيلم تونسي يلخّص خيبات الثورة في عَلم مُمزّق

فـي فيلمه الروائي القصيـر الأول المعنون بـ"في بلاد العم سـالم" اختار المخرج التونسـي الشـاب سـليم بلهيبة أن يتتبّع في 14 دقيقة قصة العم سـالم الموجعة، راويا من خلالها بعضا من أحداث الثورة التونسـية وفق إخراج سينمائي سـلس فاقد للحوار، لكنّه مُشبع بالمعاني والرموز، الأمر الذي جعله يتوّج مؤخرا بجائزتين دوليتين.

صابر بن عامر
صحافي تونسي

تونـس – ترصـد كاميـرا المخـرج التونسي الشاب سـليم بلهيبة في فيلمه الروائـي القصيـر "في بلاد العم سـالم" (إنتاج 2020)، خطوات العم سـالم، لتوثّق من خلاله الثورة التونسـية والحلم الذي كان، والذي تحوّل بسـرعة إلى خيبة أمل أصابت العباد والبلاد في مقتل.

ويـروي الفيلم فـي 14 دقيقـة، قصة حارس مدرسـة يشـرع في أواخر شـهر أغسطس 2013، في إجراء إصلاحات على مدرسـة ابتدائية بقرية متاخمة للعاصمة تونس اسـتعدادا للعودة المدرسية التي تنطلـق في البلـد في الخامس عشـر من شهر سبتمبر من كل عام.

ومـن هنـاك يُبـادر العم سـالم (قام بالدور شـريف المبروكي) بإجراء بعض الإصلاحـات على المدرسـة التـي يعمل فيها بإمكانياته البسـيطة، ليكتشـف في الأثناء أن العلم (رمز الوطن) الذي يتوسط سـاحة المدرسـة قد بَلي واهتـرأ وتمزّق بفعل الزمن، فيُبـادر تلقائيا بالتحوّل إلى العاصمة تونس لجلب علم جديد من ماله الخاص.

هكذا تبدأ حكاية الفيلـم الصامت إلّا لمامـا، لننتظر مرور زهـاء نصف أحداث العمل حتى نسمع أول جملة منطوقة فيه، (الدقيقة السادسـة تحديدا) والتي وردت على لسان امرأة كانت تجوب أزقة المدينة العتيقـة للعاصمـة، وهـي تجـرّ طفلها الصغير وتحثّه على الإسراع، قائلة بينها وبين ما تبديه نفسها من خوف "اللهم عدّ هـذا اليوم على خير". وهي اللحظة ذاتها التي أتـمّ فيها العم سـالم اقتنـاء العلم الجديد من أحد الدكاكين، مقرا العزم على العودة إلى قريته.

وفـي مشـهد لاحـق تـدور الكاميرا فـي أكثر من اتجاه وزقـاق، لنرى حارس المدرسـة وهـو يتأبّـط علمـه الجديـد، ومجموعة من الشـباب التونسي المحتجّ يصرخ "أوفياء.. أوفياء.. لدماء الشهداء"، قبل أن يركضوا كيفما اتفق إثر ملاحقتهم من عناصر الشرطة.

ودون وعـي منـه يركض العم سـالم بدوره ناجيا بنفسه، ومع ذلك يتم القبض عليـه ويقع اقتياده إلـى المخفر مع زمرة من الشباب الثائر، وفي مشهد تال تعرض الكاميرا الواجهـة الأمامية لقصر العدالة (المحكمة)، اسـتعدادا للنطق بالحكم في القضية عدد 3214، المتهم فيها العم سالم ومجموعة الشباب الذين تم اعتقالهم.

صوت آخر يأتـي هذه المرة من أروقة المحكمة، هو صوت القاضي القائل "قرّرت المحكمة بعـد المداولة السـجن لمدة 15 يومـا مع النفـاذ العاجل، وخطيـة مالية قدرهـا 150 دينارا لـكل الأسـماء التالية ذكرها..."، وذلك نتيجة لما نسـب إليهم من إحداث للشغب والإخلال بالأمن العام.

تنقطـع الصـورة، ليسـود بعـض السواد، ثم نرى العم سالم وهو يخرج من السـجن بعد قضائه 15 يوما في غياهبه، وهو الذي اقتيد إليه ظلما، أو لنقل بعبارة أدق بعـد أن حُشـر عن طريـق الخطأ في قضية لم يُشـارك فيها أصلا، لنرى مشهدا رابعـا لأطفال القرية وهم يهرولون فرادى وجماعات متجهين نحو مدرسـتهم.. إنه يوم العـودة المدرسـية المرتقـب، وفي الأثنـاء يظهـر العم سـالم بشـعره الذي اعتـراه الشـيب وبذقن غير حليـق، يجرّ قدميـه جرا فـي اتجاه المدرسـة، ليفتح بابهـا أمـام التلاميـذ المندفعيـن إلـى ساحتها.

ولأول مرة ينطق العم سالم في الفيلم حين يحثّـه أحد المعلمين بالإسـراع في خطواته، فيجيبه بكلمة نابية، ربما تعبيرا عن سـخطه وغضبه وهو العائد لتوّه من السـجن، وربما هـي أيضا تأكيـدا على خيبة أملـه إزاء ثورة لم تُحقّـق أهدافها للطبقات الكادحة التي أشعلتها.

المخرج سليم بلهيبة يحذّر في فيلمه من مغبة ضياع وطن، كما أضاع بطله العلم الجديد

كلمة واحدة قالها الحارس الأمين على العَلـم والعِلْم معا، أتـت منافية للأخلاق، قالها وهو يواصل مشيه الهوينا، ليرتدي ميدعتـه الملطّخـة بالطـلاء في مشـهد اسـتعادي لأول لقطـات الفيلـم حين كان الحارس يقـوم بطلاء جدران المؤسسـة التعليمية استعدادا للعودة المدرسية.

وفـي مشـهد أخيـر للفيلم المُشـبع بالرمزيـة يرفع العم سـالم العلم وسـط أبنائـه وهم يصدحون بالنشـيد الوطني في حماسـة، لتُظهر الكاميـرا أن العلم لم يُسـتبدل، بل بقـي ذاك القديـم المهترئ، حيـث يبدو أن حـارس المدرسـة أضاع العلم الجديد الذي اقتناه من العاصمة في زحمة الاحتجاجات التي وجد نفسه فيها قسرا، والتي كلّفته حريته ودخوله السجن للمرة الأولـى في حياته، في إشـارة إلى ضياع وطن بأكمله إثر ثورة 14 يناير 2011 بين محتجيـن وخاضعين ومسـتفيدين، فيمـا الغالبية الصامتة كحال العم سـالم هي أكبر المتضرّرين.

والصمـت كان البطل الأوحـد للفيلم الـذي انطلـق صامتـا وانتهـى صادحا بالنشـيد الوطني التونسـي الذي تغنّى بـه الأبناء/ التلاميـذ، وكأنهم الوحيدون القادرون علـى الـكلام والتغيير في زمن لاحق من وطن نخرته المصالح السياسية الضيقة.

بساطة الطرح في الفيلم لم تخف عمقه ورمزيته بدءا بالعنوان الذي جاء شـبيها بجملـة "في بلاد العم سـام"، وما تحيله إلـى الحلم الأميركي التي كانت تبشّـر به الولايـات المتحـدة الأجـداد والآباء، ولا تـزال أيضا تمني بـه الأبنـاء بالوجاهة والحريـة في بلد تكافـؤ الفرص والعدالة الاجتماعية، وهو ما حلم به التونسـيون بعـد ثـورة 14 يناير، ليكون فيلـم "في بلاد العم سـالم" الذي أتى فـي 14 دقيقة –والرقم 14 ليـس اعتباطيا هنا بالتأكيد– توثيقـا لملامـح اليـأس الـذي اعتـرى قلوب التونسـيين وأدماها وسط خيبات اجتماعية متواترة واقتصاد شـارف على الإفلاس وشـارع اكتسحته ثقافة الكلمات النابية، كالتي أطلقها العم سـالم في وجه معلّم المدرسة؛ فما عاد المعلّم رسولا!

والفيلم المحمّل بالعديد من الرسـائل والمعانـي والرمـوز، والـذي انتهج فيه مخرجـه وواضع السـيناريو لـه أيضا، سـليم بلهيبة، أسـلوبا إخراجيا سلسـا يُداعـب العواطـف ويُقحم المشـاهد في جل تفاصيله الصامتـة دون تعقيدات ولا مبالغـات، وقد حاز مؤخـرا على جائزتيْ الجمهـور فـي كل مـن مهرجـان الفيلم الأفريقـي ببلجيـكا في دورته الخامسـة والعشـرين المنتهيـة أخيـرا، وكذلـك فـي المهرجـان الدولي لسـينما المؤلف بالعاصمة المغربيـة الرباط الذي احتفى هذا العام بيوبيله الفضي.

وفيلم "في بلاد العم سالم" هو العمل الأول لسـليم بلهيبة، وهو يسـتعدّ حاليا للانطـلاق فـي تصويـر فيلمـه الروائي الطويل الذي لم يعلن عن عنوانه بعد.

الصمت كان البطل الأوحد للفيلم الذي انطلق صامتا وانتهى صادحا بالنشيد الوطني التونسي

مغامرة جريئة تتحدى الأعراف والتقاليد

سعفة كان تفتح أبواب الاهتمام بالأفلام القصيرة في مصر

سيف حميدة: «ستاشر» أعلى من قيمة المؤثرات الإنسانية في مشهد وداع البطل لحبيبته

مثّل حصول فيلم "ستاشـر.. أخاف أن أنسـى وجهك" على جائزة السعفة الذهبية في مهرجان كان السـينمائي الأخير، بشكل غير مباشر، انعكاسا إيجابيا لأزمة إنتاج الأفلام الطويلة في مصر وتقلّص ميزانيات الإنتاج، ما عاد بالفائدة على الأفلام القصيرة التي تضاعفت إنتاجاتها على السـاحة الفنية محقّقة العديد من النجاحات في المهرجانات العالمية.

إنجي سمير
كاتبة مصرية

القاهـرة – يعدّ حصـول مصر مؤخرا على جائزة السـعفة الذهبية في مهرجان كان السـينمائي فـي دورتـه الثالثـة والسـبعين عن فيلم "ستاشـر.. أخاف أن أنسـى وجهك"، أهم إنجاز عالمي تحقّقه السـينما المصريـة على مدار سـنواتها الطويلة، ما يفتـح الباب أمام العمل على المزيد من الاهتمام بالأعمال السـينمائية القصيرة، التي تتطوّر بشـكل سـريع، ما يمنحهـا دورا مؤثّرا في عالـم الفن، وقد تكون لها الكلمة العليا مستقبلا.

ميزة فيلم "ستاشـر" أنـه جاء ببطل شاب (سـيف الدين حميدة)، وقدّمه للمرة الأولى على الشاشة الذهبية، وأجاد الفتى التعبير من خلال ملامحه بطريقة مدهشة، مكّنـت المخرج المصري سـامح علاء من توصيل فكرته الرئيسية في الفيلم.

الجائزة الحلم

"العرب" التقت بالمصري سيف الدين حميدة، بطل الفيلـم، بعد أن حصد أيضا جائزة "نجمة الجونة"، كأفضل فيلم عربي فـي مهرجان الجونة السـينمائي الدولي الذي اختتم دورته الرابعة في الثلاثين من أكتوبـر الماضي، وهي الجائـزة الرابعة للعمل، إضافة إلـى تكريمه في مهرجاني موسـكو السـينمائي الدولي فـي دورته الثانيـة والأربعيـن، ومهرجـان نامـور البلجيكي في دورته الخامسة والثلاثين.

وقال حميدة إنه شـعر بسعادة غامرة بعـد حصـول الفيلـم علـى العديـد من الجوائز العالمية، خاصة جائزة السـعفة الذهبيـة، والتـي لـم يتوقعهـا حتى في أحلامـه، وكأنـه قفز خطـوات عديدة في مشـواره الفني، الذي بدأ بجائزة عالمية كبرى تعدّ تشـريفا له وللسينما المصرية ولفريق العمل كله.

ويدرس حميدة فـي أكاديمية الفنون بالقاهـرة، ودخـل مجـال التمثيـل منذ الصغـر في مسـرح المدرسـة ودرس في مجـال علـوم الكمبيوتر، قبـل أن يتركه بعد قبوله فـي أكاديمية الفنون وهو الآن بالسنة الثانية، ويحب التمثيل بالوراثة، حيـث ينتمي إلـى عائلة الفنان الشـهير محمـود حميدة، إضافة إلى عائلة الراحل شعبان حسين.

وأضـاف في حواره مـع "العرب"، أن التحاقـه بالعمل جاء بشـكل طبيعي، بعد أن علـم بأن هناك اختبـارات أداء يجريها مخرج العمل (سـامح علاء)، والذي أبدى موافقته على أن يكون حميدة بطلا للفيلم، وله الفضل فـي تذليل العديد من العقبات أثنـاء عملية التصويـر، وأزاح عنه رهبة الكاميرا التي يخشـاها كل ممثل مبتدئ، والآن أصبح أكثر ثقة بنفسه، بعد أن حصد العديد من الجوائز المحلية والعالمية.

وهـذه هي المرة الأولى التي تحصد فيها السـينما المصرية سعفة مهرجان كان الذهبيـة على أحد أفلامها، وإن كان المخرج الراحل يوسـف شاهين حصل عليها عن مجمـل أعماله وليس عن فيلم بعينـه، ما يجعـل بطل فيلم "ستاشـر" يؤكّـد علـى أن سـعادته لا توصف لأن فيلمه حـاز على هذه الجائزة، واسـمه أضحى يأتي خلف مخرج عظيم.

وتـدور قصـة فيلم "ستاشـر" حول مراهق يبلغ مـن العمر 16 عاما يخوض رحلة صعبة للعودة إلى حبيبته مجددا، بعد فراق 82 يوما ليكتشـف أنها توفيت فيذهب إلى منزلها مرتديا زيا على هيئة نقـاب، حتى لا يكشـف عن شـخصيته أو يعرفه أحـد، كي يلقي نظـرة الوداع الأخيـرة عليها، في مشـهد مؤثّر يظهر مدى حبه لها.

وأوضـح حميدة أن العمـل يتحدّث عن شـاب في سـن المراهقة من الممكن أن تتوقّع منه أي شـيء من دون أن يدرك مدى خطورة ما يفعله، فهو شاب مراهق عاش قصة حب ويريد أن يودّع حبيبته، التـي توفيت فقرّر أن يخـوض مغامرة، وبالتالي لم يكن هناك مشـهد وهو يفكّر في طبيعة الخطوة التي سـيُقدم عليها، لكنه وجد والدته ترتدي النقاب فاستلهم الفكـرة منهـا، على عكس الكبـار الذين يدرسـون كل خطوة فـي حياتهم قبل أن يشرعوا في تنفيذها.

ومـا كان غريبا في أحداث الفيلم أن يظل الشـاب مرتديا للنقـاب داخل عزاء السـيدات دون أن يطلب منه أحد كشف وجهه، باعتبار أن جميعهم نسـاء ليرد حميدة قائـلا "بالتأكيد هـذا أمر وارد، لكنه يكشـف لنـا أيضا طبيعـة تفكير البطل الذي خاض المغامرة دون أن يفكّر في أي شـيء آخر، فكان مـن الوارد أن يحدث ذلك، وأيضا ممكن ألّا يحدث إلى درجة أن البطل لم يخطّط لمغامرته، ولا يعرف كيف سيتصرف إذا طُلب منه مثلا هذا الطلب".

«ستاشر» يتحدّث عن مراهق عاش قصة حب انتهت بوفاة حبيبته، وهو يريد أن يودّعها الوداع الأخير، فيقرّر خوض المغامرة

وأكّد حميدة، أن الفيلـم أعلـى مـن قيمـة المؤثـرات الإنسـانية تحديدا في مشهد رؤية البطل لحبيبتـه آخـر مرة، وما سـاعد على ذلك وجـود مديـر تصويـر يونانـي، حيـث أضفـى المزيد من الأبعاد الاحترافية على اللغـة البصريـة التي بـدت متميزة، إلى جانب الإخـراج الجيد، وتوافـرت للفيلم الإمكانيات الفنيـة التي جعلته ينجح في المنافسة الدولية.

مشاهد صامتة

بلغـت تكلفة إنتـاج الفيلـم القصير "سـتاشـر" 200 ألف جنيه (حوالي 13 ألف دولار)، وهـي تكلفة متوسـطة بالنسـبة إلى إنتاج الأفلام القصيـرة بمصر، وبدأ تصويره في 10 فبرايـر الماضي، أي قبل استفحال أزمة كورونا، وأحداثه تدور في حي شـعبي مكتظ بالسـكان في القاهرة، وتم التصوير في حي السـكاكيني بوسط القاهـرة، حيث جـرى توظيـف الطبيعة الجمالية للمباني في هذا الحي.

سيف حميدة

مخرج الفيلم راهن على تعبيرات وجهي أكثر من الحديث

وتعود فكـرة الفيلم إلـى العام 2018، إذ أن مؤلفـه محمـد فـوزي تربطه علاقة وطيدة بالمخرج سامح علاء منذ سنوات، وعندما عرض عليـه فكرة الفيلم لم يتردّد في الموافقة عليهـا، غير أن التحضيرات للعمل والبحث عن جهة إنتاجية استغرقا نحـو عامين ليخرج في النهايـة بإنتاج مشترك، للمنتج محمد تيمور ومارك لطفي ومارتن جيروم وأحمد زيان ومهاب شهاب الدين.

وقال حميـدة إن عملية تصوير الفيلم لم تتجاوز الثلاثة أيام، وتحضيراته جرت في فترة زمنية لم تتجاوز الأسـبوع، وهو كفنـان شـاب لـم يواجه صعوبـات على مستوى التمثيل، لكنه شعر بالتعب قليلا بسـبب المجهـود الذي بذله خـلال فترة التصويـر المكثّفة، نظرا لعـدم اعتياده الوقوف أمام الكاميرا فترات طويلة.

وأشـار إلى أن صعوبة الفيلم لم تكن فـي التمثيل، لكن لأنـه صامت في بعض المشـاهد، فمـن المفترض عليـه كممثل أن يوصـل جميـع المشـاعر المدفونـة والأحاسيس والفكرة في الوقت نفسه دون كلام، وهذا ليس سـهلا، واكتشـف نفسه كممثل في هـذه المنطقة التي يجيد فيها التعبيـر بحـركات يديه وملامـح وجهه، بسهولة أكثر من الحديث.